عفان بن عفان ﷺ
هل كان محكوماً أم حاكماً ؟!

إعداد ياسر محمد حجازي

دأب كتاب الباطنية والعلمانية على الزعم بأنّ أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ كان مسلوب الإرادة أمام عماله وأقاربه ، وأنّه كان في الحقيقة محكوماً لا حاكماً ، فلا يتابع عماله ولا يسألهم عن كبير أو صغير ولا عن قطمير أو شروَى نقير ، يقول أحدهم "معاوية في زمن عمر محكوماً ومع أمير المؤمنين عثمان بن عفان حاكماً"

ويزعمون حواراً بين المرتضى علي وأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنهما يؤكد مقولتهم:

"يقول أمير المؤمنين عثمان بن عفان لعلي: إنّ عمر ولّى المغيرة بن شعبة على الكوفة والبصرة، وولّى معاوية على دمشق

فقال له الإمام علي: إنّ عمر كان يراقب ولاته ويخيفهم وإنّ ولاتك يستبدون بالأمر من دونِك".

ويقولون:" يروى أنّ أمير المؤمنين عثمان بن عفان قال للإمام علي: إنني لم أخرج عمّا كان عليه عمر في أمر تعيين الأمراء والولاة والقادة، فلماذا رضيتم به؟

فأجابه الإمام علي: إنّ عمر كان يتابعهم ويراقبهم ويعاقبهم بالعزل وبغيره إن لم يسيروا سيرة حسنة. ولم يترك لهم الأمر"[1]

[1] – طه حسين في (الفتنة الكبرى)

وإذا رجعنا للتاريخ نسأله عمّا يدعيه كتاب الباطنية والعلمانية من ضعف أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ وأنّه كان محكوماً لا حاكماً نجده يحدثنا بنقيض هذه الدعوى تماماً

فالتاريخ يحدثنا بأنّ أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ كان يتابع عماله ورعيته فيحاسبهم على أعمالهم ويؤدبهم عليها، وإليك نماذج من ذلك:

أولاً – كان من سياسة سيدنا أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ أن يعزل أي والٍ اشتكت منه رعيته وفي ذلك يروي الإمام الطبري:

" كان أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ لا يعزل أحداً إلا عن شكاة، أو استعفاء من غير شكاة"[٢]

فكان أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ يستمع للرعية ويقبل الشكاوى ضد الولاة ويقوم بعزل الوالي الذي تشكوه رعيته غالباً، فلما شكى أهل البصرة واليهم أبا موسى الأشعري ﷺ عزله أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ وعيّن مكانه عبد الله بن عامر بن كريز ﷺ[٣] فقام أبو موسى الأشعري ﷺ مخاطباً أهل البصرة:

"قد أتاكم فتىً من قريش كريم الأمهات والعمات والخالات يقول بالمال فيكم هكذا وهكذا"[٤]

---

[٢] – تاريخ الطبري ٢/٥٩٧

[٣] – تاريخ الطبري ٥/٥٥

[٤] – المستدرك على الصحيحين ٣/٧٤١ ، وهذا القول من أبي موسى الأشعري ﷺ عن الوالي الذي سيحل مكانه دليل على أنّ حظ النفس قد مات من نفوس الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

وهكذا فعل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ مع واليه على الكوفة سعد بن أبي وقاص ﷺ – خال رسول الله ﷺ – فعندما شكاه أهل الكوفة عزله وعين مكانه الوليد بن عقبةﷺ، ثمّ عزله لما شكاه الناس مع أنّ الوليد بن عقبة أخو أمير المؤمنين عثمان بن عفان لأمه ، وعيَّن مكانه سعيد بن العاص ﷺ – الذي أقيمت عربية القرآن على لسانه لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ [٥] – مع أنّه تمكن من تنظيم الولاية ومدّ الفتوحات، ولكنّ أهل الكوفة ثاروا عليه أيضاً وطلبوا أن يولى عليهم أبو موسى الأشعري ﷺ فنصح سعيد بن العاص أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ!! بأن يولي عليهم أبا موسى الأشعري ﷺ فاستجاب له أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ[٦]

وكتب إليهم أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ :

"بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد:

فقد أمّرت عليكم من اخترتم وأعفيتكم من سعيد ، والله لأفرشنكم عرضي، ولأبذلن لكم صبري ولأستصلحنكم بجهدي ، فلا تدعوا شيئاً أحببتموه لا يعصى الله فيه إلا سألتموه ، ولا شيئا كرهتموه لا يعصى الله فيه إلا استعفيتم منه ، أنزل فيه عندما أحببتم حتى لا يكون لكم علي حجة"[٧]

---

[٥] – الإصابة في تمييز الصحابة (٣/٢٨٩)

[٦] – انظر: عصر الخلافة الراشدة للدكتور أكرم ضياء العمري ص ١٣٦مكتبة العبيكان ط٣– ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م

[٧] – تاريخ الطبري ٢/٦٤٤ ، والفتنة ص٤٧ لسيف بن عمر الضبي ت٢٠٠هـ والكامل في التاريخ (٢/ ٥٢٠)

وعزل عمرو بن العاص عن مصر وولاها عبد الله بن سعد بن أبي سرح فلم يزل عليها حتى قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رحمه الله[٨]

وعندما أتت طلائع المتمردين المدينة يتذمرون من ولاتهم قال لهم أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ:

"ليقم أهل كل مصر فليسألوني صاحبهم الذي يحبون فأستعمله عليهم، وأعزل منهم الذي يكرهون.

فقال أهل البصرة: رضينا بعبد الله بن عامر فأقره علينا.

وقال أهل الكوفة: اعزل عنا سعيدا واستعمل علينا أبا موسى الأشعري، ففعل.

وقال أهل الشام: رضينا بمعاوية فأقره علينا.

وقال أهل مصر: اعزل عنا ابن أبي سرح، واستعمل علينا عمرو بن العاص، ففعل ﷺ"[٩]

ثانياً- اتبع أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ عدة أساليب لمراقبة عماله والاطلاع على أخبارهم، من ذلك أنّه كان يحرص على الحج بنفسه ويلتقي بالحجاج، ويسمع شكاياتهم وتظلمهم من ولاتهم

كما أنّه طلب من العمال أن يوافوه في كل موسم للحج، وكتب إلى الأمصار أن يوافيه العمال في كل موسم للحج ومن يشكوهم، وكان ذلك استمراراً لما كان عليه الحال أيام عمر ﷺ من لقاء سنوي بين الخليفة والولاة والرعية في موسم الحج

فعن التابعي سالم بن عبد الله[١٠] قال:

---

[٨] – تاريخ خليفة بن خياط (ص: ٤٠)

[٩] – تاريخ المدينة لابن شبة (٣/ ١١١٤)

"لما وُلي أمير المؤمنين عثمان بن عفان حج سنواته كلها إلا آخر حجة ، وحج بأزواج رسول الله ﷺ كما كان يصنع عمر ﷺ ..وأمَّن الناس ، وكتب في الأمصار أن يوافيه العمال في كل موسم ومن يشكوهم وكتب إلى الناس إلى الأمصار:

أن ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، ولا يذل المؤمن نفسه، فإنّي مع الضعيف على القوي ما دام مظلوماً إن شاء الله ، فكان الناس بذلك فجرى ذلك إلى أن اتخذه أقوام وسيلة إلى تفريق الأمة"[١١]

فكان موسم الحج كل عام مؤتمراً عاماً برئاسة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ لكل ولاة الأقاليم ومن له شكوى ضدهم، يستمع منهم ويستمع لمن يشكوهم ويقدمون له التقارير السنوية عن أوضاع الأقاليم وأحوال أهلها

قال الإمام الزهري: كان أمراء الأجناد يقدمون على أمير المؤمنين عثمان بن عفان في كل عام[١٢]

وكتب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أهل الكوفة:

"من كان له قبلي حق فليقدم فليأخذ بحقه، أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين، فلم أر يوما أكثر شيخاً باكياً من يومئذ"[١٣]

ومما كتبه أمير المؤمنين عثمان بن عفان إلى أهل الأمصار:

---

[١٠] – سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ أحد الفقهاء السبعة ،كان ثبتاً عابداً فاضلاً يُشبَّه بأبيه ﷺ في الهدي والسمت، وكان لله خاشعاً، في نفسه خاضعاً، وبما يدفع به وقته قانعاً ، مات سنة ١٠٦هـ. حلية الأولياء ٢٩٥/١ وتقريب التهذيب ٣٣٥/١

[١١] – تاريخ دمشق٣٠٣/٣٩ وتاريخ الطبري (٢/ ٦٧٩) والكامل في التاريخ (٢/ ٥٤٦)

[١٢] – تاريخ المدينة لابن شبة (٣/ ١٠٩٥)

[١٣] – تاريخ المدينة لابن شبة (٣/ ١١٤٠)

أما بعد، فإني آخذ العمال بموافاتي في كل موسم، وقد سلطت الأمة منذ وليت على الائتمار بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يرفع إلي شيء علي ولا على أحد من عمالي إلا أعطيته، وليس لي ولا لعمالي حق قبل الرعية إلا متروك لهم، وقد رفع إلي أهل المدينة أن أقواماً يشتمون، وآخرين يضربون، فيا من ضرب سراً وشتم سراً، من ادعى شيئاً من ذلك فليواف الموسم، وليأخذ بحقه كيف كان، مني أو من عمالي، أو يصّدقوا، فإن الله يجزي المتصدقين. فلما قرىء في الأمصار أبكى الناس، ودعوا لأمير المؤمنين عثمان بن عفان"[١٤]

ثالثاً- بعث أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ العديد من المفتشين إلى الولايات للاطلاع على أحوالها ومعرفة ما يشاع عن ولاته من ظلم للرعية، وقد جاء أولئك المفتشون بتقارير وافية عن أحوال أولئك الولاة

فقد أرسل عمار بن ياسر ﷺ إلى مصر، ومحمد بن مسلمة ﷺ إلى الكوفة، وأسامة بن زيد ﷺ إلى البصرة، وعبد الله بن عمر ﷺ إلى الشام ، بالإضافة إلى إرساله رجالاً آخرين إلى أماكن أخرى[١٥]

فقد دعا أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه عمار بن ياسر رضي الله عنهما فقال: "يا أبا اليقظان إن لك سابقة وقدماً، وقد عرفك الناس بذلك وقد استمرح أهل مصر واستعلى أمرهم وبغيهم علي، فأنا أحب أن أبعثك إليهم فتعتبهم من كل ما عتبوا، وتضمن ذلك علي، وتقول بالمعروف وتنشر

---

[١٤] – تاريخ الطبري (٢/ ٦٤٨) ومختصر تاريخ دمشق (١٦/ ١٨٦)

[١٥] – تاريخ الطبري (٢/ ٦٤٨) وتاريخ دمشق (٢٩/ ٥) والكامل في التاريخ (٢/ ٨) وانظر الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين (٢١٧/١) د. عبد العزيز إبراهيم العمري ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ

الحسنى، فعسى الله أن يطفئ بك ثائرة، ويلم بك شعثاً، ويصلح بك فساداً وأمر له بحملان ونفقة، وكتب إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح أن يجري عليه رزقا ما أقام عنده"[١٦].

ولقد رجع الرسل الذين أرسلهم أمير المؤمنين عثمان ﷺ للأمصار وقالوا:

"أيها الناس ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم، وقالوا جميعاً: الأمر أمر المسلمين إلا أنّ أمراءهم يقسطون بينهم ويقومون عليهم"[١٧]

ولما وصلت طلائع المحتجين من مصر والكوفة إلى المدينة المنورة أرسل لهم ذو النورين أمير المؤمنين عثمان بن عفان المرتضى علي ﷺ ، يناقشهم ويفند حججهم وينافح ويدافع عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ [١٨]

وممن أرسله عثمان ﷺ إلى المتمردين جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ

عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: لما أقبل الركب من مصر دعاني أمير المؤمنين عثمان بن عفان فقال: يا جابر الق هؤلاء الركب.

قال: قلت: يا أمير المؤمنين فأصنع ماذا ؟

قال: أعطهم على الحق ، وأن ارجع عن كل شيء كرهته الأمة.

قال: قلت: وأعطيهم على ذلك عهداً وميثاقاً ؟ قال: نعم"[١٩]

---

[١٦] – تاريخ المدينة لابن شبة (٣/ ١١٢٢)

[١٧] – تاريخ الطبري (٢/ ٦٤٨) وتاريخ دمشق (٢٩/ ٥) والكامل في التاريخ (٢/ ٨) وانظر الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين (٢١٧/١) د. عبد العزيز إبراهيم العمري ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ

[١٨] – تاريخ خليفة بن خياط ص ١٦٩وتاريخ الإسلام للذهبي (٤٢٩/٣)

[١٩] – تاريخ المدينة لابن شبة (٣/ ١١٣٥)

رابعاً – الثابت تاريخياً أنّ أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ كان لا يتهاون مع ولاته ورعيته أبداً مهما كانت صلتهم به أو كانت منزلتهم الاجتماعية كبيرة فقد أمر عثمان ﷺ المرتضى علياً ﷺ أن يضرب عامله على الكوفة وأخاه لأمه الوليد بن عقبة ﷺ[٢٠]، فضربه عليٌ ﷺ ثمانين جلدة، وذلك لأنّه شهد عليه شاهدان:

أحدهما قال: إنّه رآه يشرب الخمر

والآخر قال: إنّه شاهده يتقيأ الخمر[٢١]

فقال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه : إنّه لم يتقيأ حتى شربها"[٢٢]

---

[٢٠] – الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية، ولاه الرسول ﷺ على صدقات بني المصطلق (تهذيب التهذيب لابن حجر ١٢٥/١١) و ولاه الصديق ﷺ الأردن (تاريخ ابن خلدون٥١٥/٢) وولاه الفاروق ﷺ على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ (تاريخ الطبري٣٣٢/٢) ثم ولاه أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ الكوفة فالوليد بن عقبة ﷺ يحمل شهادة الكفاءة في القيادة والإمارة من الرسول ﷺ ، والصديق والفاروق وذي النورين رضي الله عنهم.

[٢١] – قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم ٢١٩/١١:

"هذا دليل لمالك وموافقيه في أنّ من تقيأ الخمر يحد حد الشارب ، ومذهبنا أنه لا يحد بمجرد ذلك لاحتمال أنّه شربها جاهلاً كونها خمراً ، أو مكرهاً عليها ، أو غير ذلك من الأعذار المسقطة للحدود ، ودليل مالك هنا قوي لأنّ الصحابة اتفقوا على جلد الوليد بن عقبة المذكور في هذا الحديث ، وقد يجيب أصحابنا عن هذا بأنّ أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ علم شرب الوليد فقضى بعلمه في الحدود ، وهذا تأويل ضعيف وظاهر كلام أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ يرد على هذا التأويل والله أعلم".

[٢٢] – صحيح مسلم كتاب الحدود – باب حد الخمر (٣/ ١٣٣١ ح ١٧٠٧)

ومع أنّ ظاهر روايات الطبري أنّ قصة شرب الوليد ﷺ للخمر كانت محبوكة ومُفَبْرَكة من الشهود ، وأنّ الوليد ﷺ حلف لأمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ أنّه ما شرب وأخبره خبر هؤلاء الشهود الكاذبين فقال أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ:

" نُقيم الحدود ويبوء شاهد الزور بالنار فاصبر يا أخي، وأُمِر به فجلد"[٢٣]

ولما "ضَربَ والي عثمان على الكوفة سعيدُ بن العاص ﷺ هاشمَ بن عتبة بن أبي وقاص ﷺ – لأنّه خالف في هلال رمضان وأفطر وفطّر الناس – وحرّق داره شكوه إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ

فقال أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ: سعيد لكم بهاشم اضربوه بضربه، ودار سعيد لكم بدار هاشم فأحرقوها كما حرق داره ، فخرج عمر بن سعد بن أبي وقاص وهو يومئذ غلام يسعى حتى أشعل النار في دار سعيد بالمدينة ، فبلغ الخبر عائشة رضي الله عنها فأرسلت إلى سعد بن أبي وقاص ﷺ تطلب إليه وتسـأله أن يكف ففعل"[٢٤]

وروي الطبري عن سعيد بن المسيب رحمه الله[٢٥] وهو شاهد عيان قوله:

---

[٢٣] – تاريخ الطبري ٦١١/٢ وتاريخ مدينة دمشق ٦٣/ ٢٤٤

ولما حضرت الوفاة الوليد بن عقبة ﷺ قال: "اللهم إن كان أهلُ الكوفة صدقوا عليَّ فلا تبارك لي فيما أُقدم عليه، واجعل مردي شرَّ مردٍ ، وإن كانوا كذبوا عليّ فاجعله كفارةً لما لا يعلمون من ذنوبي" تاريخ ابن عساكر ٢٥٠/٦٣ قسم ترجمة الوليد بن عقبة ﷺ

[٢٤] – الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٢/٥ وتاريخ دمشق٢١ /١١٥ ومختصره ٣٠٢/٣

[٢٥] – سعيد بن المسيب (١٣– ٩٤ هـ) المخزومي القرشي، أبو محمد: سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من

"إنّ عمار بن ياسر ﷺكان بينه وبين عباس بن عتبة بن أبي لهب كلام – سب– فضربهما أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ"[٢٦]

وعن أبي رجاء العطاردي[٢٧] قال:

"إن عمر وأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنهما كانا يعاقبان على الهجاء ، قال: واستعار خالي من قوم كلباً لهم فأرادوا أخذه منه فرمى أمهم بكلبهم – هجاهم– فحبسه أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ حتى مات"[٢٨]

ولما أفشى بحران غلام أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ للمغيرة بن شعبة ﷺ سر عزله وتولية سعد بن أبي وقاص ﷺ مكانه ، ضربه أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ ستين سوطاً وحلق رأسه وأمر أن يطاف به في السوق

فقال هودة السلمي:

لا بعد بحران يفشي سرنا ملك ستون سوطاً ورأس بعد محلوق

وطيف في السوق أعلاها وأسفلها لم يلقه قبله في الناس مخلوق

قال: فعاب ذلك ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فأعتقه أمير المؤمنين عثمان

التجارة بالزيت، لا يأخذ عطاءً ، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب ﷺ وأقضيته، حتى سمي راوية عمر. توفي بالمدينة . الأعلام للزركلي ١٠٢/٣

[٢٦] – تاريخ الطبري٦٨٠/٢، وتاريخ مدينة دمشق ٣٠٤/٣٩ وتاريخ الإسلام للذهبي تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ٢٣٦/٢ والكامل في التاريخ ٢٠/٢

[٢٧] – عمران بن ملحان أبو رجاء العطاردي البصري. تابعي مخضرم أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وقال ابن سعد: كان ثقة في الحديث وله رواية وعلم بالقرآن وأم قومه أربعين سنة وتوفي في خلافة عمر بن عبد العزيز ، وقال البخاري قال أشعث بن سوار: بلغ سبعا وعشرين ومائة سنة. تهذيب التهذيب (٨/ ١٢٤)

[٢٨] – تاريخ المدينة المنورة لابن شبة (ت٢٦٢هـ) . ٢/ ١٣٥-١٣٦

بن عفان ﷺ[٢٩]

وضرب سيدنا أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ رجلاً في منازعة استخف فيها بالعباس بن عبد المطلب ﷺ عمّ الرسول ﷺ ولمّا سئل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ عن مبررات ضربه قال:

"نعم أيُفَخِّم رسولُ الله ﷺ عمَّه وأرخص في الاستخفاف به، لقد خالف رسول الله ﷺ من فعل ذلك ومن رضي به منه"[٣٠]

"وكان كعب بن ذي الحبكة النهدي يلعب بالنارنجيات – في الكوفة- ، فبلغ أمير المؤمنين عثمان بن عفان، فكتب إلى الوليد أن يوجعه ضرباً، فعزره وأخبر الناس خبره وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين عثمان بن عفانﷺ"[٣١]

بل إنّ أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ كان أشد من الشيخين رضي الله عنهما في تأديب الجانحين

يقول الإمام الباقلاني[٣٢]:

"إنّ أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ تجاوز في تأديبه من الضرب بالدِّرَّة[٣٣] إلى الضرب بالعصا"[٣٤]

---

[٢٩] – تاريخ المدينة المنورة لابن شبة ١٤٠/٢

[٣٠] – تاريخ الطبري ٤٢٩/٣ الكامل في التاريخ (٢/ ٥٤٧)

[٣١] – الكامل في التاريخ (٢/ ٥٤٧) وانظر: تاريخ الطبري (٢/ ٦٨٢)

[٣٢] – (القاضي الباقلاني ٣٣٨ – ٤٠٣ هـ) محمد بن الطيب أبو بكر: من كبار علماء الكلام ، انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة ، كان جيد الاستنباط سريع الجواب جرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها ، ومن كتبه: إعجاز القران والإنصاف وتمهيد الدلائل ... الخ . الأعلام للزركلي ١٧٦/٦

[٣٣] – الدِّرة للأدب لا للحد وهي أضعف وأخف من السوط ، قال الإمام جلال الدين العدوي الشيزري الشافعي (ت٥٩٠هـ) في كتابه نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة

بل إنّ الغوغاء الذين خرجوا على أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ كان مما يسوغون به خروجهم عليه أنّه يضرب بالسوط والعصا[٣٥]

وجاء في التراتيب الإدارية للكتاني قوله:

"كما كانت الدرة لعمر ﷺكانت لأمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ أيضاً، إلا أنّها أشد من الدِّرة العمرية كما في أوائل السيوطي وغيره ، وفي سراج الملوك للطرطوشي قال الحسن بن علي ﷺ:

رأيت أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ وقد جمع الحصباء في مسجد رسول الله ﷺ عند رأسه، وقد وضع أحد جانبي ردائه عليه، وهو يومئذ أمير المؤمنين، ما عنده أحد من الناس ودرته بين يديه . اهـ وكان لسيدنا علي ﷺ أيضا درة"[٣٦]

وعن عمران بن عبد الله بن طلحة[٣٧] :

"أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه خرج لصلاة الغداة، فدخل من الباب الذي كان يدخل منه، فزحمه الباب، فقال: انظروا، فنظروا

الشريفة (ص ١٠٨):"يلزم المحتسب فعله من أمور الحسبة في صالح الرعية،. فمن ذلك السوط والدرة والطرطور: أما السوط فيتخذه وسطا، لا بالغليظ الشديد ولا بالرقيق اللين؛ وأما الدرة فتكون من جلد البقر أو الجمل محشوة بنوى التمر؛ وأما الطرطور فيكون من اللبد منقوشا بالخرق الملونة".اهـ

[٣٤] – تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للإمام الباقلاني ص٥٣٩

[٣٥] – انظر: فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل (٤٥٢/١)

[٣٦] – التراتيب الإدارية – نظام الحكومة النبوية ، عبد الحي الكتاني (٢٤٢/١)

[٣٧] – عِمْران بن عبد الله بن طلحة الخزاعي البصري، روى عن سعيد بن المسَيَّب، والقاسم بن محمد بن أَبي بكر الصديق ﷺ. وذكره ابنُ حبَان في كتاب الثقات. تهذيب الكمال٢٢/ ٣٣٧

فإذا رجل معه خنجر أو سيف، فقال له أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ: ما هذا؟

قال: أردت ان أقتلك !!

قال: سبحان الله ويحك علام تقتلني ؟!

قال: ظلمني عاملك باليمن.

فقال أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ : أفلا رفعت ظلامتك إليّ، فإن لم أنصفك أو أعديك على عاملي أردت ذاك مني، فقال لمن حوله: "ما تقولون؟" فقالوا: يا أمير المؤمنين، عدو أمكنك الله منه، فقال: " عبد همّ بذنب فكفه الله عني، آتني بمن يكفل بك، لا تدخل المدينة ما وليت أمر المسلمين، فأتاه برجل من قومه فكفل به، فخلى عنه، قال عمران: فو الله ما ضربه سوطا، ولا حبسه يوما "[٣٨]

وكان أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ يشترط بعض الشروط على الولاة أحياناً ليضمن أن يكون تصرفهم في صالح المسلمين، ومثال ذلك:

أن "معاوية ﷺ استأذن عمر ﷺ في غزو البحر فلم يأذن له، فلمّا ولي أمير المؤمنين عثمان بن عفان

رضي الله عنه كتب إليه معاوية ﷺ يستأذنه في غزو قبرص ويعلمه قربها وسهولة الأمر فيها فكتب إليه أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ:

قد شهدت مارد عليك عمر ﷺ حين استأذنته في غزو البحر، فلما دخلت سنة سبع عشرة كتب إليه معاوية ﷺ يهون عليه ركوب البحر إلى قبرص[٣٩]،

---

[٣٨] – أخبار المدينة ١٣٨/٢

[٣٩] – ربما كان إلحاح سيدنا معاوية ﷺ على غزو البحر ليحقق بشارة النبي ﷺ لأمته بأنها ستركب البحر وتغزو به في سبيل الله تعالى ، ففي الحديث المتفق عليه قال ﷺ (ناس

فكتب إليه أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ : فإن أردت أن آذن لك فليكن معك امرأتك وإلا فلا. فركب البحر من عكا ومعه مراكب كثيرة وحمل امرأته فاختة بنت قرظة"[٤٠]

خامساً- كان أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ يستعمل الشدة والحزم مع المنكرات التي تظهر في المجتمع الإسلامي ولا يتهاون معها فـ "أول منكر ظهر بالمدينة في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ حين فاضت الدنيا على العرب والمسلمين طيران الحمام والمسابقة بها ، والرمي عن الجلاهقات - وهى قسي البندق - فاستعمل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ عليها رجلاً من بني ليث في سنه ثمان من خلافته ، فقص الطيور وكسر الجلاهقات"[٤١] .

"وحدث بين الناس النشو[٤٢]، فأرسل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ طائفاً عليهم بالعصا فمنعهم من ذلك ثم اشتد ذلك فأفشى الحدود ، ونبأ ذلك أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ وشكاه إلى الناس فاجتمعوا على أن يجلدوا في النبيذ فأخذ نفر منهم فجلدوا"[٤٣]

سادساً-كان أمير المؤمنين عثمان بن عفانﷺ يمارس الحسبة بنفسه فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر

من أمتي عُرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر، ملوكاً على الأسرة ، أو مثل الملوك على الأسرة).

[٤٠] - الخراج وصناعة الكتابة (ص ٣٠٦) لقدامة بن جعفر البغدادي، (المتوفى ٣٣٧هـ) طبع دار الرشيد للنشر، بغداد ، الطبعة الأولى، ١٩٨١ م

[٤١] - تاريخ الطبري٢/٦٨٠وتاريخ مدينة دمشق٣٩/٢٢٨ وشرح نهج البلاغة ٢/١٥٩

[٤٢] - السكر الخفيف بسبب شرب النبيذ

[٤٣] - تاريخ الطبري ٢/٦٨٠ وتاريخ مدينة دمشق ٣٩/٢٢٨

فقد أنكر على محمد بن جعفر بن أبي طالب ﷺ لبسه الثوب المعصفر، فعن أبي هريرة ﷺ قال: راح أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ إلى مكة حاجاً، ودخلت على محمد بن جعفر بن أبي طالب امرأته، فبات معها حتى أصبح، غدا عليه ردع – لطخ – الطيب وملحفة معصفرة، فأدرك الناس بملل – موضع بين مكة والمدينة– فلما رآه أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ انتهر وأفف وقال:

"أتلبس المعصفر وقد نهى عنه رسول الله ﷺ؟!"[٤٤].

وكان أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ يرد النساء اللواتي يخرجن للعمرة أو الحج وهن في العدة؛ فقد روى الإمام عبد الرزاق عن مجاهد قال:

كان عمر وأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنهما يرجعان حواج ومعتمرات من الجحفة وذي الحليفة[٤٥]

وعند ابن أبي شيبة "أن عمر وعثمان ردا نسوة حواج ومعتمرات حتى اعتددن في بيوتهن"[٤٦]

ومنع أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ الناس من الانشغال في طيران الحمام وذلك لما بدأوا فيه مع سعة العيش وأمرهم بذبحه؛ فقد روى الإمام البخاري في الأدب المفرد عن الحسن البصري قال:

سمعت أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ يأمر في خطبته بقتل الكلاب وذبح الحمام[٤٧].

---

[٤٤] – مسند أحمد (١/ ٣٨٤). رقم ٥١٧، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح

[٤٥] – مصنف عبد الرزاق ، رقم (١٢٠٧١).

[٤٦] - مصنف ابن أبي شيبة (٤/ ١٥٤) رقم ١٨٨٤٩

وكان أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ ينهى عن اللعب بالنرد ويأمرهم بتحريقه أو كسره ممن كان في بيته؛ فقد روى الإمام البيهقي عن زبيد بن الصلت أنه سمع أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ وهو على المنبر يقول:

يا أيها الناس، إياكم والميسر – النرد– فإنها قد ذكرت لي أنها في بيوت الناس منكم، فمن كان في بيته فليحرقها أو فليكسرها.

وقال أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ مرة أخرى وهو على المنبر: يا أيها الناس، إني قد كلمتكم في هذا النرد، ولم أركم أخرجتموها، فلقد هممت أن آمر بحزم الحطب، ثم أرسل إلى بيوت الذين هم في بيوتهم فأحرقها عليهم[٤٨]

سابعاً– من أقوى ما يرد على كتاب الباطنية والعلمانية في تخرصاتهم بأنّ أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ كان محكوماً لا حاكماً شهادة المعاصرين لأمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ من الشعراء وغيرهم

فقد قال الشعراء في أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ وفي زمنه:

إنّ ابن عفان الذي جربتم	فطم اللصوص بمحكم الفرقان
ما زال يعمل بالكتاب مهيمناً	في كل عنق منهم وبنان[٤٩]

ويقول التابعي سالم بن عبد الله بن عمر ﷺ:

"لما ولى أمير المؤمنين عثمان بن عفان لان لهم فانتزع الحقوق انتزاعاً ولم يعطل حقاً ، فأحبوه على لينه فأسلمهم ذلك إلى أمر الله عز وحل"[٥٠]

---

[٤٧] – الأدب المفرد، باب ذبح الحمام، رقم (١٣٠٧). ومختصر تاريخ دمشق (١٦/١٦٥)والبداية والنهاية (١٤/ ٢٤٩)

[٤٨] – السنن الكبرى للبيهقي، كتاب الشهادات، (١٠/ ٢١٥).

[٤٩] – تاريخ الطبري ٢/٦٠٩

[٥٠] – تاريخ الطبري ٢/٦٨١

ثامناً- ومما يرد على كتاب الباطنية والعلمانية في إفكهم بأن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ كان محكوماً لا حاكماً الكتب التي كتبها أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ أول خلافته التي توضح سياسته ومنهجه

فأول كتاب كتبه أمير المؤمنين عثمان بن عفان إلى عماله جاء فيه:

"فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة ، وإن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة لم يخلقوا جباة ، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ولا يكونوا رعاة ، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء ، ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين فيما عليهم فتعطوهم ما لهم وتأخذوهم بما عليهم ، ثم تثنوا بالذمة فتعطوهم الذي لهم وتأخذوهم بالذي عليهم ، ثم العدو الذي تنتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء"[٥١]

وأول كتاب كتبه أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ إلى أمراء الجنود جاء فيه:

"فإنكم حماة المسلمين وذادتهم وقد وضع لكم عمرﷺ ما لم يغب عنّا بل كان عن ملأ منّا ، ولا يبلغني عن أحد منكم تغيير ولا تبديل فيغير الله ما بكم ويستبدل بكم غيركم ، فانظروا كيف تكونون ، فإني أنظر فيما ألزمني الله النظر فيه والقيام عليه"[٥٢]

وأول كتاب كتبه أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ إلى عمال الخراج جاء فيه :

"فإن الله خلق الخلق بالحق ولا يقبل إلا الحق ، خذوا الحق وأعطوا به ، والأمانة الأمانة قوموا عليها ولا تكونوا أول من يسلبها فتكونوا شركاء مَن بعدكم إلى ما

---

[٥١] – تاريخ الطبري٢/٥٩٠

[٥٢] – تاريخ الطبري ٢/٥٩١

اكتسبتم ، والوفاء الوفاء ، ولا تظلموا اليتيم ولا المعاهد فان الله ورسوله خصم لمن ظلمهم"[٥٣]

وكتب أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ إلى أهل الأمصار

"أما بعد: فإني آخذ العمال بموافاتي في كل موسم ، وقد سلطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلا يُرفع عليَّ شيء ولا على أحد من عمالي إلا أعطيته ، وليس لي ولعيالي حق قبل الرعية إلا متروك لهم، وقد رفع إليَّ أهل المدينة أن أقواماً يشتمون وآخرون يضربون ، فيا من ضرب سراً ، وشتم سراً .. من ادّعَ شيئاً من ذلك فليواف الموسم فليأخذ بحقه حيث كان مني أو من عمالي أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين"[٥٤]

تاسعاً- ولو كان أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ محكوماً لا حاكماً كما يزعم كتاب الباطنية والعلمانية لما حدثت في عهده كل هذه الفتوحات العظيمة التي امتلأت بقصصها وببطولاتها كتب التاريخ ولكنّه الحقد الأعمى على صحابة رسول الله ﷺ الذي صنعوا للأمة تاريخها المجيد ، وبالاقتداء بهم يعود حاضرها ومستقبلها مشرقاً مزدهراً بفضل الله تعالى وعونه.

---

[٥٣] – التمهيد والبيان في مقتل الشهيد أمير المؤمنين عثمان بن عفان (ص٤٥) المالقي الاندلسي ت٧٤١هـ

[٥٤] – تاريخ الطبري ٦٤٨/٢ وتاريخ مدينة دمشق ٣٠٥/٣٩